**Arabic Language & Literature**
**Vol. 18, No. 4, Winter 2023**
**Manuscript Type: Research Article**

**https:// journals.ut.ac.ir/**
**Print ISSN: 1735-9767**
**Online ISSN: 2423-6187**
**DOI: 10.22059/jal-lq.2022.339202.1240**

# The Manifestations of Social Anthropology in the Ode of Bozorgmehr's Murder by Khalil Mutran

**Shahla Jafari[1*], Sayyed Fazallah Mirghaderi[2], Hossein Kiani[3], Javad Dehghanian[4]**

*1. Ph.D. Student in Arabic Language and Literature, Shiraz University, Iran*
*2. Professor in Arabaic Langauge and Literture, Shiraz University, Shiraz, Iran*
*3. Associate Professor in Arabic Language and Literature, Shiraz University, Shiraz, Iran*
*4. Associate Professor in Persian language and literature, Shiraz University, Shiraz, Iran*

(Received: February,15, 2022؛ Accepted: October, 17, 2022)

## Abstract

Regarding the novelty of the research, the importance of this branch of anthropology and its strategies in understanding the social investigates people, and since Mutran lived a reality plagued by the control of the Ottoman rulers, and this reality greatly affected the people's roles and social behaviors. This research consequently deals with the effects of social anthropology based on the method of qualitative content analysis. One of the results of this study is that the behavior of individuals is formed as a result of social socialization in which the society's culture or political system is formed headed by an authoritarian king. Relations between individuals have a great relationship with authoritarian rule and this domination with the pyramidal structure has a significant role in various behaviors among individuals and leads to the domination of the policy of coercion by the ruler (the king) and submission of the people. The minister's daughter appears, which leads to the minister and his daughter's not accepting the truth. However this matter did not result in a change in the ruling on the contrary, it reveals its stability, as the authority of the ruler is as long as the authority that controls the people.

## Keywords

Social Anthropology, Authority, Occupation, Khalil Mutran, Bozorgmehr's Murder.

[*] **Corresponding Author, Email:** sh.jafary90@gmail.com

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٨ ، العدد ٤ ، الشتا ٢٠٢٣م
صفحة ٤٢١ - ٤٤٢ (مقالة محكمة)

**Print ISSN: 1735-9767**
**Online ISSN: 2423-6187**
**https://jal-lq.ut.ac.ir/**

# مظاهر الأنثروبولوجيا الاجتماعية
# في قصيدة "مقتل بزرجمهر" لـ "خليل مطران"

**شهلا جعفري[١]*، سيد فضل الله ميرقادري[٢]، حسين كياني[٣]، جواد دهقانيان[٤]**

١. *طالبة مرحلة الدّكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة شيراز. شيراز. إيران*
٢. *استاذ في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة شيراز. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. شيراز. إيران*
٣. *أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة شيراز. كلية الآداب والعلوم الانسانية. شيراز. إيران*
٤. *أستاذ مشارك في قسم اللغة الفارسية و آدابها بجامعة شيراز. كلية الآداب والعلوم الانسانية. شيراز. إيران*

(تاريخ الإستلام:٢٠٢٢/٢/١٥ تاريخ المراجعة: ٢٠٢٢/١٠/١٢ تاريخ القبول: ٢٠٢٢/١٠/١٧ تاريخ النشر: ٢٠٢٢/١١/٢٠ )

## الملّخص

إنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتمّ بدراسة دور الأفراد وطريقة تصرّفاتهم في المجتمع والعلاقات القائمة بينهم. نظرا لحداثة البحث وأهمية هذا الفرع من الأنثروبولوجيا واستراتيجياتها في معرفة الأدوار الاجتماعية للأفراد ، وبما أنّ "مطران" عاش واقعا موبوءا بسيطرة الحكّام العثمانيين وقد أثّر هذا الواقع تأثيرا كبيرا في أدوار النّاس وسلوكياتهم الاجتماعية في ذلك الزمن؛ لذلك تحاول الدّراسة هذه ، الوقوف على تحليل أهمّ مظاهر الأنثروبولوجيا الاجتماعية في قصيدة «مقتل بزرجمهر» لخليل مطران على أساس منهج تحليل المحتوى النوعي. ومن النتائج الّتي توصلّت إليها هذه الدّراسة « أنّ أهمّ مظاهر الأنثروبولوجيا الاجتماعية أصبحت متمثلة في أدوار الانقيادية للسواد الأعظم من الشعب والتي ترسمها لهم الثّقافة الّتي نقلت إليهم أو يطلبها منهم النّظام السياسي ، و على رأسه الحاكم المستبدّ. ثمّ في علاقاتهم التي أصبحت وثيقة الصّلة بسلطة الحاكم الاستبدادية. فإنّ السّلطة هذه ، ببنيتها الهرمية لها دور هام في تحديد الأنماط السّلوكية بين الأفراد والّتي تفضي إلى هيمنة سياسة الجبر لدى الحاكم والاستسلام عند الشّعب. من هذا المنطلق فإنّ دور الإنسان المصري تجاه الحاكم يتمثّل في نوع من التكيّف الاجتماعي وذلك عن طريق عملية الضّبط الاجتماعي الّتي يقوم بها الحاكم. ولقد تمثّلت الأنماط السّلوكية في هذه القصيدة بشكل تضاد القيم والتّناقضات الثّقافية والاجتماعية بين الحاكم ووزيره ، ثمّ بين الشّعب وبنت الوزير؛ الأمر الذي كان مؤدّاه رفض الواقع عند الوزير وابنته ، إلّا أنّ الأمر هذا ، لم يسفر عن تغيير الحكم؛ بل على العكس يفصح عن استقراره . إذ إنّ سلطة الحاكم لا تزال هي السلطة المسيطرة على الشعب.

## الكلمات الرئيسة

الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، السّلطة ، الدور الوظيفي ، خليل مطران ، مقتل بزرجمهر.

---

* الكاتب المسؤول

**Email**: sh.jafary90@gmail.com

المقدمة

برز انتشار حركات التّحرير والاستقلال بين الشعوب المستعمرة بعد الحرب العالمية الثانية ؛وقد نتج عن ذلك بداية عصر من الاتجاه التحرري الذي كان له أثره في إيدئولوجيات العلوم الاجتماعية ولا سيّما في أساسيات الأنثروبولوجيا الاجتماعية. لذلك يحتفظ هذا الفرع بأطر نظرية ومنهجية مولدة من العلوم الاجتماعية و يهتمّ بوصف سلوك الناس وتفاعلهم في إطار ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه الأفراد أو يعيش فيه. إنّ فهم المجتمع بصورة جذرية وعميقة ، يتحقق بواسطة فهم أفراده؛ فضلاً عن ذلك فإنّ البحث عن علم الانسان لم يكن كافيا لفهم المجتمع؛ فلابدّ من الرّجوع إلى ثقافته لدراسة معطيات الأنثروبولوجيا الاجتماعية. «فالثقافة كل متكامل من السلوكيات والعادات والممارسات الإنسانية داخل المجتمع» (الكندري ، ٢٠٠٢م :٢٩)؛ حيث وجّه علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أخيرا ، جلّ اهتمامهم بالدّور الذي يؤدّيه الفرد في المجتمع وعلاقة شخصيته بالثقافة الاجتماعية.

وقد شهدت مصر تحولات كثيرة بعد حملة نابلئون واتصلت بالثقافة الغربية ولا سيّما الثّقافة الفرنسية هذا من جهة. من جهة أخرى إنّ هيمنة السّلطة الاستبدادية تُؤدّي إلى انقياد النّاس والخنوع أمام الحاكم. كلّ هذه الأمور تفضي إلى تغيير ثقافة الناس في أيّ مجتمع. «إنّ العقل المصري ، وهو يتهيّأ للأفكار الجديدة ، لايزال مملوءا بتقاليد الماضي ، الأمر الذي غيّر نفوس هؤلاء القوم» (الدسوقي ،٢٠٠٠م: ١١) وكذلك قد شهد الشعر العربي المصري هذه الأمور وكان ذلك على يد مجموعة من الشعراء برز من بينهم خليل مطران والذي كان له دوره في الوقوف إلى جانب المجتمع وسلوكيات الأفراد. على هذا الأساس يعبّر الأدب عن الممارسة الاجتماعية والثّقافية التي يتميّز بها كلّ مجتمع عن غيره ، ويندرج في إطار ثقافة معطاة تظهرعلى شكل نصوص أدبية ،ومن الممكن أن يشكّل مجموع هذه الممارسات في الأدب ميدانا للبحث الأنثروبولوجي؛ ممّا يؤدّي إلى التّلاقح بين الأدب والأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ «لأنّ كليهما يستمدّان عناصرهما أو مادّتهما الأساسية من المجتمع ومن الواقع المعيش. فالنّظم الاجتماعية والأنماط السلوكية لأفراد المجتمع وكذلك العلاقات بين هذه النّظم أو الأفراد هي موضوع مميّز للأنثروبولوجيا الاجتماعية وهذه الأمور نفسها هي الّتي يغترف منها الأديب و يشكّل سياقاته خارج النصيّة» (أبلال ،٢٠١٠م: ٤٨). من هذا المنطلق تتّضح أهميّة الدّور أو الوظيفة لبنية الأثر الأدبي والأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ لأنّ «الوظيفة ، ولاسيّما في الاتّجاه البنائي الوظيفي ، قد خلصت لإجراء العلاقة بين بنية ما وبين ملابسات الحياة الاجتماعية» (فكوهي ، ١٣٨٢: ١٧٧).

استنادا إلى ما سبق من القول تسعى هذه الدراسة إلى تحليل قصيدة «مقتل بزرجمهر» على ضوء الأنثروبولوجيا الاجتماعية وفقاً لمنهج تحليل المحتوى (النوعي) الذي يهدف إلى تحرّي المفاهيم والمضامين كيفيا وتحاول الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. كيف تتمثل الأنماط السّلوكية للأفراد وعلاقاتهم في هذه القصيدة ؟

٢.ما هو السّبب لسلوكيات الإنسان المصري من منظار مطران؟

خلفية البحث

فيما يرتبط بموضوع البحث (الأنثروبولوجيا)

اهتمّ عدد من الكتّاب والباحثين بدراسة الأنثروبولوجيا وفروعها على المستوى التنظيري والتّطبيقي بشكل عام؛ لذلك تنقسم هذه الدّراسات إلى قسمين: نظرية وتطبيقية.

الدّراسات النظرية: إنّ هذه الدّراسات منصبّة على شرح الأنثروبولوجيا ، فروعها وبيان أهمّيتها والتعرّف على تاريخ نشأتها ثم تطوّرها واتّجاهاتها المعاصرة وهي كما يلي:

– تناول فهيم (١٩٨٦م) في كتابه «قصّة الأنثروبولوجيا» المسار العام للأنثروبولوجيا العامة. فلايقتصر عمله على إبراز الإطار العام للفكر الأنثروبولوجي وتطوّره فحسب ، بل يوثق الكاتب بين الفكر والعصر؛ إذ يوضّح طبيعة الرابط بين النّظرية والمنهج. والمفيد في هذا الكتاب طرح موضوع «العرب والأنثروبولوجيا المعاصرة» موضّحا قلّة إسهامات الباحثين العرب في الدراسات الأنثروبولوجية.

–كان جهد الجوهري وآخرين (٢٠٠٤م) في كتابهم الموسوم بـ «الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع و المنهج» منصبا على تعريف الأنثروبولوجية الاجتماعية و منهجها. إن كان هذا الكتاب لم يحاول الوقوف على الجانب التطبيقي إلّا أنّه سيرشدنا في التعرّف على الأصول النّظرية للأنثروبولوجيا الاجتماعيّة.

– قام الشمّاس (٢٠٠٤م) في كتابه ، مدخل إلى علم الإنسان ، "الأنثروبولوجيا" بالجوانب الهامّة في علم الأنثروبولوجيا من حيث أبعاده النظرية التّطبيقية. ما يهمّنا في البحث ، هو تلك المعلومات التي جاء بها الكاتب في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية واتّجاهاتها المعاصرة؛ أضِف إلى هذا ،الكثير من المعلومات عن البناء الاجتماعي ووظائفه في المجتمع الحديث.

– و قد قام خواجه (٢٠١٥م) بطبع كتاب يضمّ محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية؛ فهو يشمل تعريف الأنثروبولوجيا لغة واصطلاحا ، ثم بيان أهدافها ، فروعها

ونشأتها ، تطورها و اتجاهاتها بشكل تنظيرى؛ ثم تحدث في كل هذه المجالات ، عن الأنثروبولوجيين وأعمالهم المنجزة معتمدا على الفكر الاجتماعي و الدراسات النظرية الأنثروبولوجية.

الدّراسات التّطبيقية: بما أنّ استعراضنا للأنثروبولوجيا يرتبط بالبحوث التي تتّسم بالدّراسات البينية؛ إذن لا يتمّ التركيز في الجانب التّطبيقي إلّا عليه .

تتكون صلعي (٢٠٢٠م) رسالتها الموسومة بـ «تجلّيات الأنثروبولوجيا الثّقافية والاجتماعية في رواية "ريح الجنوب" لعبدالحميد بن هدوقة» ، من فصلين: نظري وتطبيقي؛ تحدّثت الباحثة في الفصل النّظري عن مفهوم الأنثروبولوجيا ، فروعها واتّجاهاتها. كما خصصت الفصلَ التّطبيقي بالحديث عن العادات والتّقاليد الشّعبية وهي التي ترتبط بالأنثروبولوجيا الثّقافية. وفي هذا السّياق تجدر الإشارة إلى أنّ الأنثروبولوجيا الثّقافية تهتمّ بدراسة الإنسان باعتباره كائناحضاريا يعيش في المجتمع ، ومع التّركيز على النشئة الثقافية بشقّيها المادّي والمعنوي وكيفية تطوّرها وانتشارها؛ بينما نرى الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وإن كانت تشير إلى مظاهر الثّقافة ، بمثابة عنصر أساسي للبناء الاجتماعي ، إلا أنّها تقوم بدراسة الأدوار الوظيفية والأنماط السلوكية التي يُمارسها الأفراد داخل البناء الاجتماعي أو العلاقات التي تحدث بينهم. أمّا فيما يرتبط بالأنثروبولوجيا الاجتماعية لم يكن النّجاح حليف الباحثة؛ لأنّها تطرّقت إلى المضامين الاجتماعية التي تتعلّق بعلم الاجتماع بمفهومه العام.

– أشار "صالحي" (٢٠١٩م) في رسالته المعنونة بـ "الشّعر الشعبي في منطقة وادي سوف (دراسة أنثروبولوجية) علي عناد نموذجا" إلى توصيف العادات والتّقاليد الاجتماعية والقيم الثّقافية من خلال القصائد الشعبية للشاعر الجزائري «علي عناد». حاول الباحث تسليط الضّوء على دراسة نظرية لعلم الأنثروبولوجيا تعريفا ، ثمّ قام بتبيين طبيعتها وأهدافها ونشأتها عبر التاريخ.

–كان جهد مرتاض (٢٠١٢م) في كتابه «السّبع المعلّقات» منصّبا على التّحليل الأنثروبولوجي للمعلّقات السّبع. حاول المؤلّف تحليل أشعار المعلّقات ، متّبعاً المزواجة بين الأنثروبولوجية والسيمائية لدى تعرّضه للنّص. يتحدّد نجاح الكاتب في هذا الصّدد من خلال اهتمامه بأهمّ فروع الأنثروبولوجيا الكلاسيكية والمعاصرة ،إضافة إلى اختيار منهجية علمية.

– قام الحسني (٢٠٠٩م) بدراسة إسلامية في علم الإناسة المعاصر باسم الأنثروبولوجيا الثقافية للمجتمع الكوفي عند الإمام حسين (ع). ثمّ وصل إلى هذه النتيجة أنّ الرجوع إلى علم الإنسان ، لم يكن وحده كافيا لفهم الإنسان الكوفي في يوم الطّف؛ وانّما لابدّ للرجوع إلى

دعاء الإمام الحسين (ع) و أنّ الثّقافة التي نشأ عليها الإنسان في الكوفة أدّت إلى قتل الحسين بن علي (ع).

فيما يرتبط بالمادّة البحثية (مقتل بزرجمهر)

هناك دراسات كثيرة في مضمار قصيدة "مقتل بزرجمهر" بأشكال مختلفة؛ نستغني عن إيرادها كلّها ، إلّا أنّنا نشير إلى أهمّها:

– مقالة "بازتاب اسطورههاي ايران باستان در ادب عربي معاصر" لمحسنيnيا (١٣٨٠ش) قامت بتوصيف قصيدة مقتل بزرجمهر" وشرح أبياتها؛ والهدف الذي وراء هذا البحث ، كما ذكر الكاتب ، هو التعرف على حياة الشاعر وأساليبه الشعرية ومن ثمّ تَبَيِين وجهة نظر الشاعر تجاه هذه القصيدة.

– رسالة ياري نظام آبادي (١٣٩٢ش) تناولت في طيّاتها ، تجليات التاريخ والأسطورة في قصيدة "مقتل بزرجمهر"؛ مشيرا إلى أنّ قصد الشاعر من توظيف هذه العناصر ، تبيين المفاهيم السياسية والاجتماعية و من أهمّها ظلم الحكّام ، وجهل النّاس.

– رسالة هوشمند (١٣٩٤ش) تطرّقت إلى دراسة العناصر السردية في بعض الأشعار القصصية لخليل مطران ، منها قصيدة "مقتل بزرجمهر". فقد كشفت هذه الدراسة عن أهمّ عناصر الخطاب السردي منها الحوار ، والمكان ، والزمان والشخصية.

– مقالة محسنيراد (١٣٩٥ش) ، بعنوان "بازتاب فرهنك إيران در قصيده مقتل بزرجمهر" ، انصبّت على على مدى تأثير الثقافة الفارسية على "شاعر القطرين". وقد اعتمد البحث على الكشف عن الشخصيات الرئيسة وكذلك أهمّ الأحداث التي تنضوي تحت لواء القصيدة هذه. ثمّ وصلت الدراسة إلى هذه النتيجة أنّ غاية الشاعر من إنشاد القصيدة هذه ألا وهي الثورة على الحكّام المستبدين والتنديد بالأمم التي انحنت لجبابرتها بالاستكانة والخضوع.

نقد الدراسات السابقة و تقييمها

تطرّقت الدراسات النّظرية بأغلبها إلى المسار العام للأنثروبولوجيا وتاريخ نشأتها؛ لذلك يمكن القول أنّ قيمة هذه الدّراسات تتجلّى في البعد التّاريخي أكثر من الأبعاد الأخرى. ثمّ اعتمد بعضها الآخر على فروع الأنثروبولوجيا الجديده واتّجاهاتها المعاصرة. ثم نكاد نجد خلالها احتفاء الباحثين بتبيين صلة الأنثروبولوجيا بالعلوم الأخرى منها: علم الاجتماع ، علم النّفس ، علم الأحياء والاقتصاد وغيرها من العلوم. وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ نقد

الباحثة لهذه الدّراسات لا يقلل من قيمتها المعرفية وفي الاستفادة منها نظريا؛ كما تُعتبر هذه الدّراسات ، الحجر الأساس للدّراسات التّطبيقية.

ومن خلال عرضنا للدّراسات التّطبيقية نجد أول ملاحظة عليها قلّتها؛ فقد بحثنا كثيرا عن عناوين مشابهة ؛ لكنّنا لم نحصل إلّا على هذه الدراسات المطروحة فحسب؛ والسبب يعود إلى حداثة البحث وجهل الباحثين بهذه الدّراسات . وما من ريب في أنّ هناك مقالات و رسائل وأطروحات متنوعة حول هذا الموضوع ، لكنّها في فرع العلوم الاجتماعية. إلّا أنّنا في الدّراسات التّطبيقية لم نحصل على دراسة سابقة تحمل نفس المنطلق الفكري والمعرفي ونفس الإشكال المعتمد عليه هذا البحث .

ولو تعمقّنا فيما يخصّ بالمادة البحثية لوجدنا أنّ معظم الدراسات المنجزة في هذا المضمار ، عالجت القصيدة من جوانب مختلفة منها: التاريخ ، والأسطورة ، والسرد أو توصيف المضامين السياسية والاجتماعية دون الاهتمام بقضايا الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو استخدام مفاهيمها الأساسية.

هذا ، والملاحظ للدّراسات السابقة يجد بأنّها لم تحاول الوقوف إلى أيّ جانب من الجوانب الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وفقا لما أشرنا إليه و لسدّ هذه الفجوة ، فإنّ ما يميّز هذا البحث عمّا سبقته من الدّراسات ، إلقاء الضوء على دراسة الدّور الوظيفي والنمط السلوكي لأفراد المجتمع ، وكذلك العلاقات الاجتماعية بينهم قاصدا الانسجام بين الأدوار أو غيابه ،وبالتالي التغيير في الممارسات الاجتماعية لهم.

## منهج البحث

إنّ المنطلق الرئيسي لمنهج المقالة هذه ، هو المنهج الاجتماعي الذي يُعنى بدراسة الظّواهر الاجتماعية في البيئة التي يعيش فيها الأديب ،سعيا إلى إقامة العلاقة بين الإبداع الأدبي والمجتمع؛ غير أنه لم يكن الغاية النهائية من تحليل المقالة هذه ، وفقا لطبيعة موضوعها؛ لأنّ تفسير الأنماط السلوكية التي تؤكّد على العلاقة بين أفراد المجتمع ، تتطلّب منهجا شموليا وأوسع حتى يتجاوز عن الوصف. على هذا الأساس اعتمدت المقالة هذه ، على منهج تحليل المحتوى (النوعي) بحيث يلائم الدّراسات الأدبية والأنثروبولوجية مستهدفا تفسير المضامين السّطحية و الخفيّة (معا)؛ إضافة إلى ذلك إنّ علميّة الأنثروبولوجيا في الدّراسات المتسمة بـ «البينية» ، لا تفيدنا التجربة إلّا بالتفسير واستقراء الحقائق والكشف عن الخلفية الفكرية الكامنة وراء النص. وفق هذا الأمر واستنادا إلى استخدام الاتّجاهات المعاصرة في الدّراسات

الأنثروبولوجية ، قامت هذه الدّراسة باختيار الاتّجاه البنائي –الوظيفي الذي اتّجه نحو دراسة المجتمع من خلال العلاقات الاجتماعية التي تتسق مع الأدوار أو الوظائف الاجتماعية.

## الإطار النظري للبحث

الأنثروبولوجيا هي التي تدرس الانسان بشكل عام؛ وقد ظهرت أصولها النظرية مع عصر النهضة الأروبية؛ بحيث قد تمخّضت الثورة الثقافية والعلمية في هذا العصر ، الحاجة إلى فرع جديد من المعرفة لكي «ينظر إلى الانسان في إطار خاص يستمد أصوله المعرفية ومفاهيمه من العلوم المتصلة بالحياة الاجتماعية على حد سواء» (فهيم ، ١٩٨٦: ٨). وفي فترة الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥) ، برزت أهمية الدعوة إلى التقدّم الفكري بتطوير موضوعات هذا العلم إلى الدرجة التي يصبح فهم الانسان ومعرفته ، الحجر الأساس له.

وقد أظهرت الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، التناسقَ الحميم بين الفرد وبين علاقاته الاجتماعية. و التي تتكوّن « من العلاقات القائمة بين الأفراد وهي علاقات تنظمها مجموعة من الحقوق والواجبات المعترفة بها» (خواجه ،٢٠١٥م: ١٦) ، هذا من الوجهة الأولى؛ ومن الوجهة الأُخرى أنّ البناء الاجتماعي من أهمّ المرتكزات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والذي يتكوّن من عناصر متشابكة يتمّ التفاعل فيما بينها بشكل ظهور الأدوار و العلاقات الاجتماعية للشخصيات الرئيسة في مجتمع معين ولا يمكن تحديدها إلّا عن طريق دراسة سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم ، ضمن البنية التي تؤلّف ثقافتهم. من هذا المنطلق فإنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية تعتبر من المعرفة المتّسعة بسبب اندراج مفهوم الثقافة تحت مظلّتها و تهتمّ بتحليل السلوك الإنساني ضمن إطار الثقافة التي ينتمي الإنسان إليها. يهتمّ الأنثروبولوجي الاجتماعي بتفاعل أدوار النّاس الذين يعيشون في مجتمع ما ، والبحث عن علاقاتهم الاجتماعية في إطار بناء خاص. فهو يعتني «بالطريقة التي يحدّد بها المجتمع والأدوار التي يقوم بها النّاس إثر ثقافتهم ونتيجة عدم أدائها على الوجه الأكمل. وتتضمن الأدوارُ مسئوليات القيادة والحماية والطاعة والتعاون» (تيلوين ، ٢٠١١م: ٥٥). على هذا الأساس ، إنّ الغاية الرئيسية من هذا العلم ، هو التعرّف على الأدوار التي تؤدي إلى ترابط المجتمع وتسجيل الثقافة وتدوينها؛ ببيان آخر فإنّ القصد ، هو فهم سلوك الأفراد في المجتمع وطريقة تصرّفهم خلال الثقافة الاجتماعية.

تحليل القصيدة على أساس الأنثروبولوجيا الاجتماعية

إنّ الواقع الذي عاشه مطران، كان له الدّور الأبرز في تكوين ظاهرة الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تلائم -إلى حدّ ما -روح الشّعب المصري. فالفترة الزمنية من حياته، مرّت فيها تغييرات جذرية على المستوى العالمي عامّة، وفي المنطقة العربيّة خاصّة -ولا سيّما في مصر- منها وقوع الحرب العالمية والاستبداد العثماني قد سبّبا اهتمام مطران بالإنسان والمجتمع الذي عاش فيه. فقد قامت الدراسة هذه، بالأنماط السلوكية في قصيدة «مقتل بزرجمهر»؛ والتي تتمثل في الوظائف والأدوار المختلفة للشخصيات الرئيسة منها الحاكم، الشّعب أو المحكومين، الوزير وابنة الوزير.

دور الحاكم و مكانته

من العوامل الأنثروبولوجية التي كانت مؤدّاها تكوين ثقافة المجتمع المصري وأسهمت إسهاما فعّالا في سلوكيات الأفراد، هي السياسات الحكومية ولا سيّما سلوك الحاكم. إنّ الحاكم، على رأس هرم السّلطة، يتدخّل في كلّ شؤون المجتمع. وهو الذي يقدر على إعمال إرادته على المجتمع وأفراده، دون أيّ مقاومة من جانب الشّعب؛ "لأنّ السّلطة في الحقيقة، بمثابة بنية مستقلة عن إرادة الأشخاص الآخرين ومقدرة الحاكم لتحقّق منافعه تجاه الفئات الأخرى أو ضدّها " (Foucault,1980: 2). يشير مطران إلى هذه السّلطة وهي سلطة عبدالحميد (تعريضا عنها بعدالة كسرى أنوشروان) ومقدرته على إقامة الظّلم، والتّنكيل، والذّبح، و التّدمير، واستباحة أعراض النّاس:

إن تستطع فاشرب مِن الدّم خمرةً واجعَل جماجمَ عابديكَ نعالا
واذبح ودَمّر واستَبح أعراضَهم واملأ بلادَهم أسىً و نكالا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٨)

قامت سلطة "عبدالحميد" على أساس سياسة الجبر عند الحاكم والاستسلام عند المحكومين؛ الأمر الذي أدّى إلى الاختلاف في الأدوار الوظيفية والقيم الثقافية للمجتمع. ينفعل أفراد المجتمع تجاه السّلطة هذه ، ويتبنّوها على أساس ايدئولوجياتهم التقليدية. فظهرت هناك قضية اجتماعية؛ لأنّ المجتمع كنظام اجتماعي ذات النّظم الاجتماعية المتنوعة، في حين لاتتناسب قيم هذه المجموعات بعضها مع البعض. فينحو المجتمع نحو القيم المعارضة؛ ويسوده التّناقض بأشكاله المختلفة. مطران ينشد هذا التناقض الموجود في

الأدوار؛ حينما لم يعتن الحاكم أيّ اعتناء بقضية العدالة؛ وإنمّا يقوم بمقتل وزيره العادل و يترك الظّالم وشأنه.

"كسرى"أ تُبقي كلّ فدمٍ غاشم حيّا و تُردي العادلَ المفضالا؟
وتدّقُ في مرأى الرَّعيّة عُنقُه ليموتَ موتَ المُجرمينَ مُذالا؟

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٨)

إنّ الشاعر يكشف عن أهمّ سلوكيات الحاكم تجاه أفراد المجتمع والذي يقوم بمقتل وزيره العادل ، «بزرجمهر» ، بأبشع صورة؛ بينما لم يكن يعبأ بالظالمين وأفعالهم. فالعلاقة بين الحاكم والوزير تتسمّ بالسيطرة الواضحة للحاكم؛ فهي ليست متمثلة بشكل السلطة فحسب؛ وإنّما برزت كفكرة مهيمنة على سلوكيات الأفراد وممارساتهم والّتي تتجلى عند مقتل الوزير العادل ، بحيث كانت وجوههم مسرورة ،لكنها تُدمي القلوب:

يُبدونَ بِشرا و النُّفوس كظيمةً يُجفلنَ بين ضُلوعهم إجفالا
تَجلو أسرّتَهم بروقُ مَسرّةٍ و قلوبُهم تدمى بهنّ نِصالا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٧)

وفي الحقيقة إنّ الحاكم قام بإجراء الضبط الاجتماعي لأفراد المجتمع والذي يتمثل بشكل الضغط الاجتماعي؛ ممّا جعل الآخرين على القيام بأدوارهم وفقا لتوقعّه. فيصبح اتّجاه الحاكم مع الوزير وأفراد المجتمع بشكل متناقض ، بحيث ليست قيم الوزير والشّعب المصري ملائمة بعضها البعض. فيستفيد عبدالحميد من أهمّ عوامل الضّبط الاجتماعي وهو السلطة أو العنف السياسي؛ أمّا الإنسان المصري بتقهقره الفكري واستلابه الثقافي ، فهو يمهّد أرضية مناسبة لتمدّد سلطة الحاكم ، وألقى نفسه في الانخراط المغلوب في دائرة هذه السلطة خوفا وجهلاً.

يستلهم مطران الرمز التاريخي ، (كسرى) ، لهذه السلطة ليجعلها معادلاً لما تمرّ به الأمّة من الظلم الذي تعيشه في ظلّ الحاكم الجائر ،(عبدالحميد) ، حيث يتحكم العنف من توافر عوامل السّطوة و التسلّط لدى الحاكم مقابل صمت الآخرين. وليس هناك للحرية أيّ معنى في المجتمع المصري؛ لأنّ «جميع النّاس عبيد السّطان؛ فلم يستطيعوا الدّفاع عن وطنهم وحقوقهم والخلاص من السّلطة الحاكمة» (درويش ، ٢٠١٠م: ٤٦).

ولم تعد تقتصر سلطة الحاكم على المجالات السياسية وحدها ، بل تتجاوز إلى المجالات الثّقافية والفكرية عند أفراد المجتمع؛ بحيث ربّت هذه السّلطة نوعا من التفكير عند أفراد المجتمع ؛ على أنّها قامت بتكوين صفة التكيّف مع الظروف السائدة. فقد تمّ هذا التوافق

الموجود على مرّ العصور بشكل القوالب السلوكية وبناء ثقافة الفقر. و«الفقر نتاج من العلاقات والملابسات البشرية التي ترتبط إلى الساحة السياسية مباشرة؛ ويسعى الحاكم في النظام الاستبدادي أن يحفظ هويته ، في حين أنّه يحرم النّاس من هويتهم الثقافية والاجتماعية» (pickering,2001:23). ثمّ لا يسعى مطران أن يغفل الإشارة إلى هذا الفقر الثّقافي عند أفراد المجتمع ولا سيّما في سجودهم للحاكم وجعلهم المكانة العليا له؛ بحيث تصبح مكانة الحاكم في رأس هرم النّظام السياسي:

سَجدوا لكسرى إذ بَدا إجلالا كسجودهم للشّمس إذ تتلالا...

... تستقبلون نعالَه بوجوهكم وتُعفّرون أذلةً أوكالا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٦)

كان عبدالحميد يلجأ إلى إرهاب ثقافة الشّعب؛ فيتّضح ذلك من خلال ما شهده المجتمع أثناء سلطته عليهم؛ لأنّ الأحداث الاجتماعية تعدّ من أهمّ المكونات الأساسية لهويّة المجتمع وثقافته. وخير صورة لتجسيد إرهاب الثّقافة في حكومة عبدالحميد ، هي مقتل بزرجمهر. ثمّ إنّ صمت الشّعب المصري تجاه هذه الكارثة ، يدلّ على عدم إفساح المجال للحريّة في هذا النّسق السياسي. و ما من ريب في أنّ المحكومين لا يملكون القدرة على إصدار أيّ حكم:

ناداهم الجلّاد: هل مِن شافع «لبزرجمهر»: فقال كلٌّ: لا. لا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٩)

و هكذا أصبحت السّلطة ، محصورة بيد الحاكم؛ حيث لا يشاركها أحد في اتّخاذ القرارات المختلفة؛ فالإيدئولوجية هذه ، تحدّد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكومين؛ ولعلّ قد أحدثت نوعا من التكيّف الاجتماعي لدى الشّعب المصري؛ إذ ليست عنده أيّة إرادة أو مقدرة لتغيير الحادث لصالح نفسه. ببيان آخر تقوم العلاقات بينهما بتأدية دور الشّعب الوظيفي ومن خلال القيام بتكيّف الظروف ، وتبنّي مكانته الدّونية ، وأدواره الاجتماعية.

دور الوزير

حاول بزرجمهر تحرير العقول من الانقياد الأعمى للحاكم ، والنّظر فيما يصدره من الأحكام بجانب العدل. إذن له دوره في إصلاح مسير الحاكم الجائر وكذلك ضرورة نشر الوعي بين أفراد المجتمع. إنّ عدالة الوزير الاجتماعية ، لا تخالف أيّ ممارسة ديمقراطية أو التّنغم بالحريّة. فهي في حقيقتها «ليست عملا سياسيا فحسب؛ بل هي قبل ذلك دور اجتماعي؛ وإنّها نظام متكامل لتحرير الفرد والجماعة من الاستبداد السياسي ومن الظلم الاجتماعي

معا» (خالد ،٢٠٠٦م:٥٩). كان بزرجمهر ، رمزا لوزير عبدالحميد ، (مدحت باشا) ، فهو يعتقد أنّ الدّيمقراطية منهج للحياة ،وغايتها أن تضع جميع القوى السياسية والاجتماعية في خدمة الإنسان معتمدة على أساس العدل ، والحقيقة ، والحريّة:

وإذا قَضى يوما قضاء عادلا ضربَ الأنامُ بعدله الأمثالا...

...متألّبينَ ليَشهدوا موتَ الذي أحيا البلادِ عدالةً ونوالا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٧)

والواضح أنّ الوزير إثر وعيه بالواقع ومعرفته بالنّظام الاستبدادي ، تتولد لديه حالة من الاستبعاد والرّفض؛ لأنّه لم يستطع معايشة ظلم الحاكم ، علما بأنّ النّاس لا بدّ لهم أن يخضعوا لهذا الواقع مرغمين على التّعايش مع الواقع الاجتماعي. فموقف الوزير هذا ، ليس الّا ردّة فعل لموقف الإنسان الرافض للظلم الذي يعمّ المجتمع. ثمّ لم يكن عند الوزير ، أيّ مقدرة على تغيير الظروف وإصلاحها ؛ فيضطرّ إلى موعظة الحاكم. إنّ إيدئولوجية" عبدالحميد "كانت متناقضة لإيدئولوجية وزيره؛ وهي تمثّلت في مستوياتها أزمة جديدة. إنّ تضادّ القيم الاجتماعية والمعايير السياسية عند الحاكم والوزير و عدم توافق إيدئولوجيتهما أدّى الى فجوة عميقة بينهما وأخيرا إلى مقتل الوزير.

سَخط المليكُ عليه إثرَ نصيحةٍ فاقتصَّ منه غوايةً وضلالا

(مطران ،١٩٧٧ ، ج٢: ٤٨٨)

وأنت ترى في روح هذا البيت ، شعور الوزير بالرفض الكامن لكلّ ما يحيط بالمجتمع وما يترتب عليه من سلوكيات الحاكم الظالم وقد يتصف بالعداء والاستبداد. فقد تنبّه الوزير لما كان يهدّد البناء السياسي وإهمال أمور الرعية؛ لذلك رفض الاستسلام والجمود؛ كما رفض المساس بأدوار الحاكم وممارساته التي تربطهما علاقة الانفصال. على أنّ هذا ، لا يجعلنا أن ننسى ما يقوم به الوزير من هذا السلوك المتمرد الذي لا يسلكه إلّا الأقوياء؛ حيث إنّ من أدوارهم الوظيفية ، التصدّى لروح الخنوع والاستبداد.

وقد يعبّر مطران عن العدالة من خلال توظيف شخصية كسرى أنوشروان ووزيره ، بزرجمهر ، تعريضا بظلم الحاكم ،(عبدالحميد) ، وعدالة الوزير ، (مدحت باشا)؛ ثمّ يجعل الحاضر متصلاً بالجذور التاريخية. ولعلّ الهدف الذي وراء هذا ، هو علاقة التأثير والتأثر. فالتاريخ ليس مجرد حوادث فحسب؛ بل هو جزء من شخصية الفرد الجماعية التي تعدّ أحد مكوّنات شخصية الإنسان الأساسية؛ وليس بزرجمهر مجرد اسم تاريخي ، بل هو جزء من المكوّن الاجتماعي الذي قام بتكوين ثقافة العدالة والحريّة والهوية الانسانية لكلّ

مجتمع ولا سيّما المجتمع المصري. فاستدعى مطران الأكاسرة السّاسانيين في قصيدته ، لينهض شعور الآخرين تجاه أصحاب الحضارة والتثقف بثقافتهم العريقة. فهو يرى أنّ خير ما يتوسل به إلى وجدان أفراد المجتمع ، هو أن ينقل إليهم تجاربَ تاريخية وثقافية بأبعادها ومن ثمّ الصّمود ضدّ الظلم ، والإحساس بالعدل ، والدّعوة إلى الثّقافة والحضارة ويدعو كذلك إلى التواصل والعلاقة بالحضارات الأخرى.

دور الشّعب

إنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية تقوم بدراسة الإنسان في وجوده الاجتماعي ونظام ذلك من السلوك والعلاقات في البناء الاجتماعي مؤكدة على توصيف وتحليل ما يبني المجتمع على مستوى الأفراد. بما أنّ الإنسان يعدّ من أهمّ المرتكزات الأساسية للبناء الاجتماعي وبسبب أهميّة دوره في تكوين هذا البناء ، فهو يعتبر الحجر الأساس لتقدّم المجتمع؛ بناء على ذلك فقد وجّه الأنثروبولوجيون الاجتماعيون اهتمامهم نحوالأدوار التي يحدّد بها المجتمع ويقوم بها النّاس؛ ممّا جعل مطران يحاول الوقوف عند هذا الأمر ، مشيرا إلى الجذور العريقة لأفراد المجتمع المصري طول الأعصار الماضية. ثمّ يتعجّب الشاعر من وضعهم الراهن؛ وهؤلاء هم الذين كانوا أعزّاء في الحروب كلّها؛ و لكن اليوم أصبحوا صاغرين ومتذللين أمام الحاكم الجائر حيث صارت ثقافتهم ، ثقافة الخضوع والانقياد والتذلل تجاه السّلطة.

يا أمّةَ الفُرس العريقة في العُلى ماذا أحال بكِ الأسود سِخالا؟
كنتُم كباراً في الحروبِ أعزّةً واليومَ بتّم صاغرينَ ضئالا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٦)

وفي الحقيقة إنّ الحاكم بالحفاظ على علاقاته مع أفراد المجتمع ، يتضمّن أساليب سلوكهم وقد يتفوّق في قدرته على كبح زمامهم. أمّا هؤلاء المحكومين فلم يصلوا إلى حدّ من الوعي أو المعرفة الموضوعية ، كي يستطيعوا التحرر من قيد السلطة. لذلك يرى مطران أنّ سبب قيام الإنسان المصري بالأدوار هذه ، يكمن في جهله ، مشيرا إلى أنّ الخلاص الحقيقي من هيمنة المتسلّط يكون رهينا بتغيير رئيسي في بنية العقول:

والجهل داءٌ قد تقادمَ عهدُه في العالمينَ ولايزال عُضالا
لولا الجهالةُ لم يكونوا كلُّهم إلّا خلائقَ إخوة أمثالا

(مطران ،١٩٧٧م ، ج٢: ٤٨٨)

يرى مطران أنّ أساس المجتمع يتكوّن في ثقافة النّاس؛ ممّا جعله أن يسترعي انتباه الباحث الأنثروبولوجي به. إنّ «النظام السياسي له الدور الأساسي في انتقال الثقافة إلى

أفراد المجتمع و إحدى الجوانب لتكوين الثقافة (سلبية أو ايجابية) في الفرد ، تكون صفة القهر لواقعة سياسية أو اجتماعية» (الأمين ، د.ت : ١٩ و ٢٠). فالنظام الاستبدادي يلقي ضوابط صارمة على سلوك الأفراد ، حيث يفصل بين المجتمع الإنساني من خلال قيامه بإلغاء أو تجاوزه الحدود الثقافية للناس. على هذا الأساس دعت السلطة الحاكمة في المجتمع المصري إلى تكوين ثقافة هجينة أدّت إلى مجموعة سلوكيات عند الأفراد؛ فأصبحت ثقافتهم ثقافة الخضوع ، و الانقياد ، و طاعة السلطة.

وفي ظلّ هذا النّظام السياسي في المجتمع المصري ، تحولّت شخصية الإنسان من الكائن الفاعل إلى الكيان المفعول به. وممّا لا شك فيه فإنَّ الحديث عن الهوية الثّقافية للإنسان المصري آنذاك ،كانت قبل كل شيئ ، مرتبطة بحقيقة المجمتع وطبيعة الاستبداد .لذلك يفتقد الشعور الوجداني بالهويّة؛ لأنّ السّلطة قد غيّرت هويّته التي تُعَدُّ إحدى ركائز الديمقراطية التي تحتاج إليها المجتمعات التي تعاني من الاستبداد.

إنّ الحاكم المستبد (عبدالحميد) ، قام بتحديد هوية الأفراد في المجتمع المصري وفقا للأهداف ونزوعاته ،ومن ثمّ استلاب هويّته مع إضعاف الحريّة عند أفراد المجتمع. والإنسان المصري منهزم من داخله؛ ولا مجال لإظهار هويته أو تكوينها؛ كما لا يمكن له تشكيل مجتمع مثقّف حرّ ، يحكم نفسَه بنفسه. فهو لا يجد من مكانة له تجاه الحاكم سوى الرّضوخ و التّبعيّة. ومن هنا شاع بين طبقات الشعب التزلّف و التبعيّه للحاكم اتّقاء لشرّه. « وهذا الإنسان المقهور الذي يهرب من عالمه كي يذوب في العالم المتسلّط و نظامه أملاً في الخلاص» (حجازي ،٢٠٠٥م: ١٢٣)؛ ممّا جعل مطران الإشارة إليه في حين أنّ المحكومين كانوا يوم مقتل بزرجمهريتظاهرون بالسرور ، بينما كانت قلوبهم دامية:

يُبدون بِشراً و النّفوسُ كظيمةٌ  يُجفلنَ بين ضلوعِهم إجفالا
تَجلو أسرّتَهم بروقُ مسرّةٍ  وقلوبُهم تَدمى بهنّ نِصالا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٧)

إذا كان الشّعب المصري لم يرفض هذا الواقع الاجتماعي ،(مقتل بزرجمهر) ، بشكل مباشر ولكن حدث في باطنه التّناقض؛ وأصبح عاجزا عن الانتقال من الحريّة السّلبية التي ترتبط بالعجز إلى الحريّة الإيجابية و الحقيقية؛ لأنّ وعيه يعتمد على أسس القوّة والهيمنة الاستبدادية. ثمّ يتعذّر استعادته بصورة حقيقية ، فيشكّل هاجس الخوف من السّلطة حضورا دالّا في قصيدة الشاعر. إنّ الشّعب لم يجد أمام الحاكم طريقا سوى الاتّباع في إطار السّلطة ولم يتوفر له أي مجال للإدلاء بآرائه والحفاظ على كيانه الثّقافي ، فلا مندوحة له

بتكيّفه مع الوسط الاجتماعي واستمرارية توافقه مع السلطة؛ لأنّ «القوّات الحكوميّة أو السلطة المسيطرة مهدّدة هوية أفراد المجتمع» (Barry & Waewer,1998:4, 5)؛ ممّا يسبّب إلى خلق الإزدواجية السّلوكية عند الأفراد.

تأسيسا على ما سبق، فإنّ استدعاء الشّخصيات الساسانية لدى مطران، واعتزازه بحضارة الفرس الراقية، وشخصياتهم البنّاءة، وعلاقة الماضي بالحاضر، كلّ هذه الأمور تدلّ على إشارته الضمنية إلى إحدى أشكال أزمة هويّة المجتمع المصري. إذ يرى الشاعر أنّ الطريق الوحيد للتخلّص من هذه الأزمة، هو التّمسك بالتراث الثّقافي والفكري والتواصل والترابط مع الحضارات المثقفة. على هذا الأساس، «إنّ تتبّع أنماط التغيّر الاجتماعي وأسبابه ونواتجه بربط الواقع الحاضر بالتراث السابق، من أهم أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية». (خواجه ،٢٠١٥م:١١)

وممّا يجدر بالذكر أنّ سبب سلوكيات الأفراد في المجتمع المصري يعود إلى نشأتهم الاجتماعية، والتي تسمح لهم أن يسلكوا سلوكا معيّنا؛ فيصبح الإنسان المصري ذا طبع محدّد ترسمه له هذه الثقافة التي نشأ عليها أو نقلت إليه، فيصبح ملزما بها لا يستطيع الخروج عن قيودها. فضلاً عن ذلك فإنّ هذه التربية تنشأ من المجتمع السياسي والفعل الذي يمارسه الأجيال، حسبما يطلب منه المجتمع السياسي» (Durkeim.1980: 51)؛ تأسيسا على هذا، فإنّ تلك السّمات التي ذكرها مطران في المكوّن الثّقافي للمجتمع المصري، كانت لما نقل إلى هؤلاء الأفراد مع ما رافقها من متغيّرات اجتماعية و ثقافية لقّنت بهم السلطة الحاكمة من التّعذيب، والقتل، والظلم؛ ثمّ كلّ ذلك يعتبر الحجر الأساس في بناء الإنسان في هذا المجتمع، فتنشأ طبع يسوقه نفسياً إلى الخضوع و الاستسلام أمام الحاكم الجائر.

دور بنت الوزير

إنّ هيمنة الاستبداد بشكل عام، و في امتدادها السلطة الأبوية بشكل خاص، أدَّيا إلى تهميش المرأة في المجتمع المصري؛ إذ تواجه المرأة موانع عديدة لحضورها الفعّال ومساهمتها في شؤون المجتمع وقد تفاقم هذا الأمر؛ بحيث قد أصيبت المرأة بأزمة الهوية؛ لأنها استسلمت نفسها للسطة البطريكية. فجاءت بنت الوزير بعد مقتل أبيها بشجاعة تامة في مواجهة هذه الأصول التقليدية وكانت تنظر إلى القضايا بوعيها المعرفي. لقد صوّرها مطران وهو يحاول الوقوف إلى تحرير المرأة من القيود السلطوية وإبراز الشجاعة النسوية ؛ على أنّها لا تقلّ عن شجاعة الرجال، بل تعتبر أكثر منهم.

وأدار كسرى في الجماعة طرفَه فرأى فتاة كالصّباح جَمالا
تَسبي محاسنُها القلوبَ وتَنثني عنها عيونُ النّاظرين كلالا
بنتُ الوزير أتَت لتشهد قتله وترى السَّفاهَ من الرَّشاد مُدالا

(مطران ،١٩٧٧م ،ج ٢: ٤٨٩)

إنّ دور بنت الوزير تصبح رمزا لحركة المرأة التقليدية في مجتمع ما؛ وقد انتقل دورها إلى المرأة الاجتماعية المتثقّفة. فإنّ تحولها الاجتماعي والعقلاني متمثّلة للمرأة المعاصرة و من خلال المجتمع المصري. و«هي تسعى سعيا حثيثا في أن تحاكي أوروبا في كلّ شئ ولقد ازداد حبّ المصريين لمحاكاة الأجانب وتقليدهم في كلّ ما يزاولون من شؤون الحياة» (الدسوقي ، ٢٠٠٠م:٥٦). فقد حوّلت بنت الوزير ، دور المرأة المصرية من كائنة تقليدية وسلبية إلى كائنة اجتماعية وإيجابية.

إنّ ايدئولوجيا بنت الوزير كايدئولوجيا المرأة الغربية التي تواجه المرأة المصرية وتقابل ايدئولوجية طبقة الحاكم وكذلك طبقة الشّعب؛ الأمر الذي يسبب الصّراع الفكري والثّقافي ؛ حيث يكشف القناع عن وجهها خلافا لثقافة المجتمع المصري آنذاك. إنّ دور بنت الوزير ورؤيتها تجاه السلطة والمجتمع تتحوّل إلى إيدئولوجيا عبر صراع الإيدئولوجيا المتناقضة لها. والمادّة الأساسية لخلق هذه التّناقضات هي الأعمال المنجزة في الواقع الاجتماعي؛ لأنّ «سلوكيات المرأة في المجتمع تأثرت من الظروف الاجتماعية ، السياسية والثّقافية أو نابعة من طريقة مخالطتها الاجتماعية وأنّها محققة عن طريق الأخذ بالقيم والسلوك والعقائد الاجتماعية من قبل أفراد المجتمع» (مندراس و گورويچ ،١٣٨٤ش: ٣٠٦)

وقد أشار مطران بصورة تلميحية إلى أنّ سلوكيات المرأة ودورها في المجتمع المصري ، تحدّد بواسطة الآخرين؛ في حين أنّ الشاعر لم يذكر اسما لبنت الوزير. فهو قد جعل القارئ بين تسميتها أو معرفة اسمها حائرا. ثمّ أصبحت هوية المرأة مكبوتة في هذا المجتمع ؛ وتتحول هذه الهويّة المتأزمة عند بنت الوزير إلى ثورة مفاجئة ؛ لأنّها تنفجر ضدّ مظاهر الاستبداد السياسي والثقافي عن طريق الاحتجاج بعد مقتل أبيها. إنّ ابنة الوزير تحارب هيمنة النّظام الاستبدادي أولا والنّظام السّلطة الذكورية وإعادة حقوق المرأة ثانيا.

والحديث عن جمال المرأة للدلالة على أنّ المرأة كانت كالسّلعة؛ ولا يتعيّن مقياس تقييم المرأة في المجتمع البطريكي عن طريق قوة التفكير أو تثقيفها؛ وإنّما يتميز بواسطة حسن جمالها. إنّ «تقييم المرأة في المجتمع الذكوري وفق جمالها الظاهري وقدرتها على ابقاء نفسها ، كسلعة مثيرة تكسب الرجل» ( Thornham ،36 :1998 ) إذن يلاحظ التّمرد ورفض

الواقع الاجتماعي عند بنت الوزير ضدّ الموقف التقليدي والمتخلّف للمرأة؛ فهي تسلك طريقا في استنهاض المرأة للحصول على استقلالها وطريقة تفكيرها في المجتمع.

إنّ ابنة الوزير التي هبت بعد مقتل أبيها لتحمل لواء النضال وتأبي الرضوخ والاستسلام؛ لذا حطّمت النّظرة التقليدية للمرأة؛ وأثبتت أنّ المرأة لديها مقدرة على أن تقف أمام السلطة الاستبدادية والبطريكية حتّى تذود عن الوطن وحقوقها الضائعة وكذلك كسر عزلتها المفروضة عليها والانصهار في المجتمع والكشف عن هويّتها الحقيقية:

بادٍ مُحيّاها ، فأينَ قِناعها؟ فعلامَ شاءت أن يَزول فزالا؟
... مولاي يَعجب كيفَ لم تتقنَّعي قالت له: أتعجُّبا و سؤالا؟
أنظر وقد قتل الحكيم ، فهل ترى إلّا رُسوما حولَه وظِلالا؟

(مطران ، ١٩٧٧م ،ج٢: ٤٨٩)

لقد رفضت بنت الوزير عقيدة الآخرين و لم تكن صامتة أمام العادات والتقاليد خلافا على سلوكياتهم؛ غير أنّها اعتقدت أنّ المجتمع المصري بحاجة إلى التقدّم في بنائه السياسي والفكري. فقامت بنت الوزير باحتجاجها وقد حظيت من الديمقراطية والحريّة وقد تجاوزت من الحريّات التي كانت ترسم لها ولأمثالها السنن والتقاليد؛ فإنّ تمرّدها تجاه الحاكم و المجتمع ، بمثابة الخروج من هذه الرسوم التقليدية التي رُسمت لها ولكلّ امرأة مصرية.

لم تكن شخصية بنت الوزير هامشية خلافا للشّخصيات الأخرى التي كانت منفعلة بالنسبة إلى السّلطة و أعمالها. إنّ شخصية الرجال كانت منفعلة و تتمثّل هويّتهم مرتبطة بالسّلطة والامتثال عنها ، لكن بنت الوزير نضجت شخصيتها ووصلت إلى المرحلة الفردانية. «ومن علائم هذه الفردانية ، استخدامها لغة الحوار؛ لأنّ استكمال فردانية الشخص يتمّ بالحوار والتّحدث» (Christeva,1986:21)؛ بعبارة أخرى تخرج بنت الوزير من حالة التشيؤ ، ثمّ يتمّ وصولها إلى مرحلة الفردانية وتخرج نفسها من الانفعال وتقوم بالاحتجاج والحوار مع الجلّاد.

إضافة إلى ذلك ، فإنّ مطران كان عالما بأنّ المرأة في المجتمع المصري ، لاتتمتّع بحقوقها الشّرعية و الاجتماعية؛ فهو من خلال توظيف مكانة المرأة الساسانية ، يشير إلى قضية أنثروبولوجية ألا وهي أنّ المرأة كانت تحترم في ذلك الزمن من جوانب متعددة ، منها: الرجل ، والأسرة ، والمجتمع. ثمّ إنّها لم تكن بمعزل عن عالم السياسة والحكم ، بل كان لها أثرها في أهمّ الأحداث الوطنية عن بصيرة نافذة (حسيني ، ١٣٩٥ش: ٧٣؛ مير خوشخو ،١٣٩٦ش: ٢٠٧). من هذا المنطلق الفكري ، قام مطران بتشجيع النساء وحضورها في المجتمع مشيرا إلى إصدار مشروع قانوني لحريّة المرأة في المجتمع الذي تعيش فيه.

النتائج

إنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتمّ بدراسة السلوك الاجتماعي للأفراد في البناء الاجتماعي من خلال العلاقات و الأدوار الّتي يقوم بها النّاس. إذن فإنّ الانتماء الشّعب المصري إلى السّلطة الاستبدادية كراهية يؤثر في سلوكياته ، وغياب الدّيمقراطية ، والشّعور المتناقض لديه. كما أن الأفراد ليست لديهم أيّة ديمقراطية أو استقلالية للإيدئولوجيا؛ ثمّ تصبح علاقاتهم وثيقة الصلة بجوانب السّلطة السياسية وتؤثر هذه الحالة في حياتهم فكريا واجتماعيا وثقافيا؛ حينما أصبحوا منفعلين أمام السّلطة وأصيبوا بأزمة الهوّية الفردية والجماعية وانصهارهم في ايدئولوجيا السّلطة؛ بعبارة أخرى إنّ السلطة الاستبدادية ببنيتها الهرمية ، لها تأثير عميق في تحديد الأنماط السلوكية بين الأفراد؛ حيث يحتلّ الحاكم رأس هرم السلطة و يقوم المحكومين بدورهم الإنقيادي أو الإمتثالي في تكوين بناء المجتمع. فالعلاقة بين الحاكم و المحكوم تحوّلت إلى علاقة سائد وهي علاقة التابع والمتبوع؛ وتمثّلت بشكل التّضاد النّفسي عند المحكوم لكونه ساخطا وليست عنده أية ديمقراطية لتغيير الحادث. ثمّ إنّ استقلالية الإيدئولوجيا عن الواقع الاجتماعي تبلغ حدّها الأقصى عند الوزير وابنته ، و تصل لديهما إلى حدّ من المعرفية؛ حيث عند تأملّهما لمختلف الأنماط الإيدئولوجية والمكنونات الثقافية في المجتمع المصري ، تبني منظومتهما الاجتماعية التي تتعارض مع بنية المجتمع؛ فالوزير في علاقاته الاجتماعية لم يعتنق نظام السّلطة وإنّما يستند إلى نظام العدالة؛ الأمر الّذي كان مؤدّاه رفض الواقع؛ ثمّ ترشيد مشكلة التضاد نفسيا وسلوكيا؛ ممّا يجعل الحاكم القيام بمقتله واستمراريته السّلطة على المجتمع المصري. ولم يقتصر الاهتمام برفض الواقع عند الوزير فحسب؛ بل نجده عند ابنة الوزير وهو يتمثل في سلوكية متناقضة تجاه الحاكم ومن خلال احتجاجها الذي تقوم به للواقع الاجتماعي مستهدفا تغيير الواقع هذا.

وتتمثل شخصية بنت الوزير قضية هامّة لتطور الإنسان نحو القيم الاجتماعية والثقافية؛ أمّا تحرّر المرأة من السّلطة البطريكية فهو مقياس لتحرّر كل ّانسان من القوة القهرية والسّلطة الاستبدادية تحكيما لهويته الفردية والجماعية. بناء على ما سبق ذكره ، فإنّ الرّسم البياني لقصيدة "مقتل بزرجمهر" لـ خليل مطران ،يظهرمن خلال الأنثروبولوجيا الاجتماعية ،و هو كما يلي:

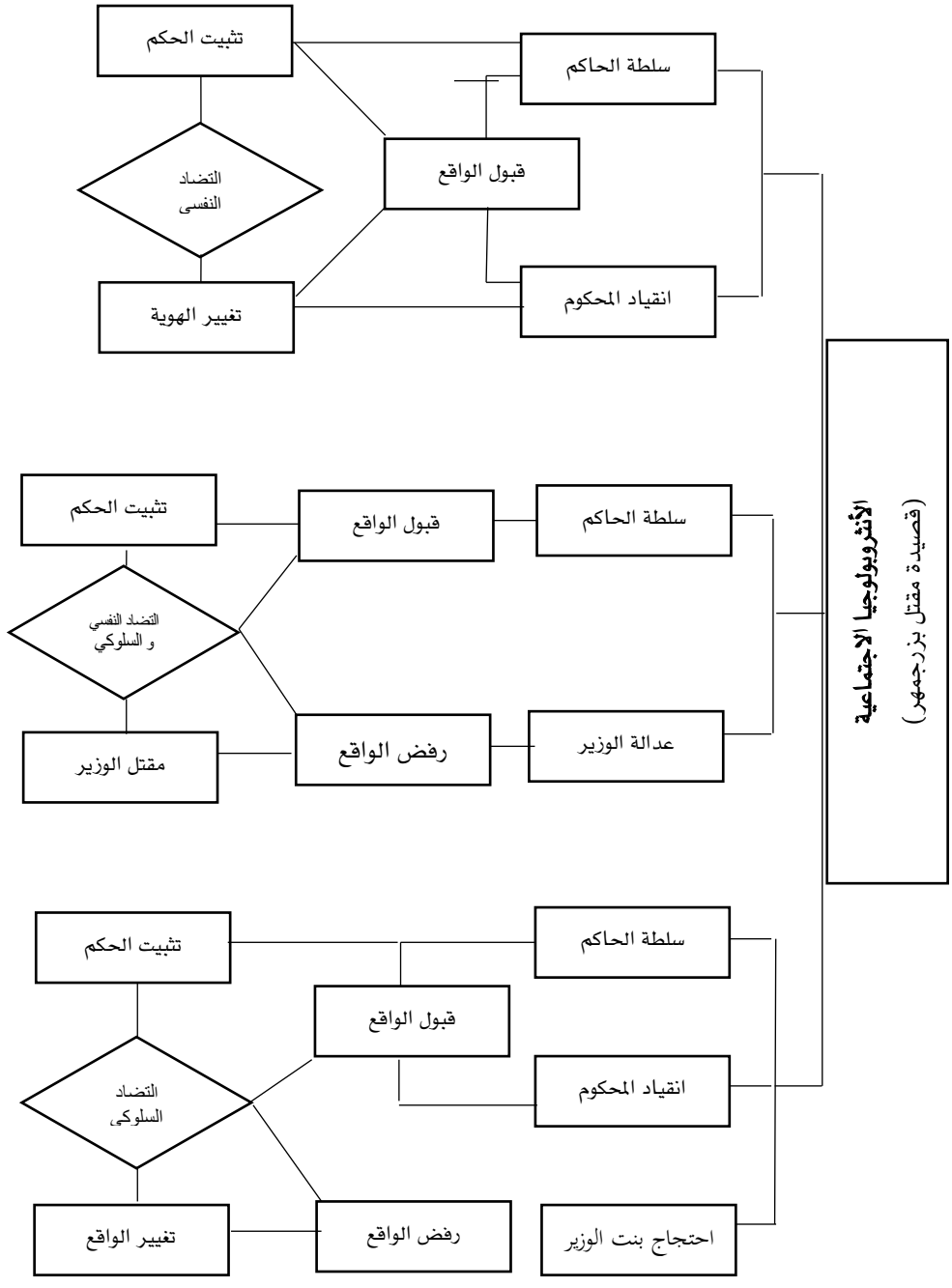
الأنثروبولوجيا الاجتماعية
(قصيدة مقتل بزرجمهر)
تثبيت الحكم
سلطة الحاكم
التضاد النفسى
قبول الواقع
تغيير الهوية
انقياد المحكوم
تثبيت الحكم
قبول الواقع
سلطة الحاكم
التضاد النفسي و السلوكي
مقتل الوزير
رفض الواقع
عدالة الوزير
تثبيت الحكم
سلطة الحاكم
قبول الواقع
التضاد السلوكى
انقياد المحكوم
تغيير الواقع
رفض الواقع
احتجاج بنت الوزير

المصادر و المراجع:

الأمين ، عدنان (د.ت) ، *التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع* ، الطبعة الأولى ، مغرب: دارالبيضاء.

أبلال ، عياد (٢٠١٠م) ، *الأنثروبولوجيا الأدب ، دراسة انثروبولوجية للسرد العربي* ، القاهرة: دار الروافد.

تيلوين ، مصطفى (٢٠١١م) ، *مدخل عام في الانثروبولوجيا* ، الطبعة الأولى ، الجزائر: دارالفارابي.

الجوهري ، محمد والآخرون (٢٠٠٤م). *الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج*. د-ط. الإسكندرية: دارالمعرفة.

حجازي ، مصطفى (٢٠٠٥م) ، *التخلف الاجتماعي* ، الطبعة التاسعة ، بيروت: المركز الثقافي العربي.

الحسني ، نبيل (٢٠٠٩م) ، *الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الامام حسين (ع)* ، د-ط ، كربلاء.

حسینی ، زهرا؛ میرفخرایي ، مهشید (١٣٩٥ش) ، سالاری زن از مجموعه هزار قضاوت ، *مطالعات زن و خانواده* ، شماره ٢ ، صص ٥٧-٧٦.

خالد ، محمد خالد (٢٠٠٦م) ، *أزمة الحرية في عالمنا* ، القاهرة: دارالمقطم.

خواجه ، عبدالعزيز محمد (٢٠١٥م) ، *محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية* ،د-ط ، الجزائر.

درويش ، احمد (٢٠١٠م) ، *خليل مطران ، المسيرة و الإبداع* ، ترجمة: رشا صالح ، الطبعة الأولى ، الكويت.

الدسوقي ، عمر ( ٢٠٠٠ م) ، *في الأدب الحديث* ، الجزء الأول و الثاني ، القاهرة: دارالفكر.

الشمّاس ، عيسى (٢٠٠٤م). *مدخل إلى علم الانسان "الأنثروبولوجيا"*. د-ط. دمشق: اتحاد الكتّاب العرب.

صالحي ، يوسف (٢٠١٩م). *الشعر الشّعبي في منطقة وادى سوف (دراسة أنثروبولوجية) علي عناد أنموذجا*. رسالة الماجيستر. جامعة الشهيد حمة لخضر.

صلعي ، سهام (٢٠٢٠م). *تجلّيات الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعيّة في رواية "ريح الجنوب" لعبدالحميد بن هدوقة*. جامعة قالمة.

فکوهي ، ناصر (١٣٨٢ش) ، انسانشناسی گفتگو: پویایي ممنوعیتها و تعلقها در حوزه مبادله ، *نشریه جامعه شناسی ایران* ، دوره ٥ ، شماره١ ، صص ٤٠-٥٧.

فهيم ، حسين (١٩٨٦م) ، *قصة الانثروبولوجيا* ، د-ط ، الكويت: علم المعرفة.

الكندري ، يعقوب يوسف (٢٠٠٢م) ، *الثقافة و الصحة و المجتمع* ، د-ط. الكويت.

محسني راد ، بتول (١٣٩٥ش) ، بازتاب فرهنگ در قصیده مقتل بزرجمهر ارز شاعر لبناني ، خليل مطران. پژوهشنامه ادب غنایی، شماره ٢٧. صص ١٧٣-١٨٨.

محسني‌نيا ، ناصر(١٣٨٠ش) ، بازتاب اسطوره‌هاي ايران باستان در ادب عربی معاصر، نشریه ادبیات و علوم انسانی، سال ۴۶. شماره ۲،۳، صص۴۳۱- ۴۴۴.

مرتاض ، عبدالملك (٢٠١٢م)؛ *السبع المعلقات ، تحليل أنثروبولوجي ، سيميائي لشعرية نصوصها* ، الجزائر: دار البصائر.

مطران ، خليل (١٩٧٧م) ، *ديوان الخليل* ، المجلد الثاني ، د-ط. بيروت: دار مارون عبود.

منـدراس ، هـاني؛ گـورووِيچ ، ژرژ (١٣٨۴ش) ، *مبانی جامعه شناسی* ، مترجم: باقر برهام. چاپ ششم ، تهران: اميركبير.

مير خوشخو ، سيده آمنه؛ عالم ، عبدالرحمن (١٣٩۶ش)؛ بررسی اسطوره شناختي جايگاه ايزد بانوان در جهان فكري ، معنوی ايرانيان باستان ، *فصلنامه ادبيات عرفانی و اسطوره شناختی* ، سال ١٣ ، ش ۴۶ ، صص ١٧٥- ٢١٥.

هوشمند« قربان (١٣٩۴ش)« بررسی عناصر روایت در شعرهای داستانی خلیل مطران، پایان نامه کارشناسی ارشد، قزوین: دانشگاه بین المللی امام خمینی.

ياري نظام آبادي (١٣٩٢ش) ، بررسي تطبيقي شعر نیما یوشیج و خلیل مطران. پایان نامه کارشناسی ارشد.کرمانشاه: دانشگاه رازی.

Barry,Buzan and ole wawer(1998),liberalism and security the cnsiderations of -the libreralleviathan, copenhgen research institute P 42.

Durkiem , Emile (1980), The Elementary Forms of the Religious Life. New York.: Collier Books.

Christeva, Julia (1986). Question of Subjectivity. edition mariarf: londres.

Foucault , M (1980) Truth and power in C. Gorden (ed). Power/Knowledge selected Interviewes and other writing. Harvester. Brighton.1(5) jan, PP 1-3.

Pickering . M (2001), Stereotyping. Basingstok Palgrave.

Thornham, Sue (1998) Secend Wave Feminism, The Routledge Companion to Feminism and Post Femenism. Ed. Sarah Gamble. London: Routledy.

**Sources**

Abelal, Ayyad(2010). anthropology literature, An anthropological study of the Arabic narrative. Cairo: Dar Al Rawafed.

Al-Amin, Adnan(w.d).socialization and character formation. first edition ,Morocco .Dar Al-Baydaa.

Al-Desouqy, Omar(2000). In Modern Literature. Part One and Two, Cairo: Dar Al-Fikr.

Al-Hasni, Nabil (2009), Socio-cultural anthropology of the Kufa society according to Imam Hosein, An Islamic study in anthropology, Karbala.

Al jouhary, Muhammad and the others(2004), Social anthropology issues subject and method Alexandria: House of Knowledge.

Al-Kandari, Jacob Youssef(2002). Culture, Health and Society. Kuwait.

Al -shammas, Jesus(2004) Introduction to Anthropology, Damascus: Union of Arab Writers.

Barry,Buzan and ole wawer(1998),liberalism and security the cnsiderations of -the libreralleviathan, copenhgen research institute P 42.

Christeva, Julia (1986). Question of Subjectivity. edition mariarf: londres.

Darwish, Ahmed(2010). Khalil Mutran, career and creativity. Translation: Rasha Saleh. first edition, Kuwait.

11-Durkiem , Emile (1980), The Elementary Forms of the Religious Life. New York.: Collier Books.

12-Fahim, Hussein(1986). The Story of Anthropology, Kuwait.

13-Foucault , M (1980) Truth and power in C. Gorden (ed). Power/Knowledge selected Interviewes and other writing. Harvester. Brighton.1(5) jan, PP 1-3.

Fukoohi, Nasser(1382). Anthropology of Conversation The Dynamics of Prohibitions and.: Belonging in the Field of Exchange. Iranian Journal of Sociology.Volume 5. Number 1. Pp40-57.

Hejazy, Mustafa(2005) Social backwardness. ninth edition. Beirut: Arab Cultural Center.

Hooshmand,Qurbun (1394), By Khalil Mutrun,the elements of novel in the poetry of story. MA thesis. Qazvin.

Hosseini, Zahra; Mirfakhrayi, Mahshid (1395). Female Sovereignty as from the Collection of ThousandJudgments. Women and Family Studies,Session4. Pp57-76.

Khaled, Mohamed Khaled(2006). The Crisis of Freedom in Our World, Cairo: Dar Al-Moghattam. publication of literature and human science. No 2,3. Pp 431-444.

Khawaja, Abdulaziz Muhammed(2015). Lectures in social and cultural anthropology. Algeria.

Mendras, Hani; Gurovich, George(1384). Fundamentals of Sociology. Translator: Baqer Parham. Sixth edition. Tehran: Amirkabir.

Mir Khoshkho, Seyedeh Amena; Alam, Abdul Rahman (1396). Mythological study of the position of women goddesses in the intellectual, spiritual world of the ancient Iranians Quarterly Journal of Mystical and Mythological Literature . No. 46.Pp175-215.

Mohseni rad, Batool (1395). Reflection of culture in his poem Bozorgmehr 's Murder by Khalil Mutran, singing literature. No 27. Pp 173-188.

Mohseni nia, Naser (1380), ). Reflection legend of ancient Iran in contemporary Arabic Literature,

MurtaZ, Abdul-Malik (2012); The seven pendants Anthropological semiotic analysis of the poetry of its texts, Algeria: Dar Al-Basir.

Mutran, Khalil(1977). Diwan Al-Khalil, Volume Two. Beirut: Maroun Abboud House.

Yari Nezam abadi, Badri (1392), Applied research poetry of Nima Yoshij and Khalil Mutran. MA Thesis, Kermanshah: Razi university

Pickering . M (2001), Stereotyping. Basingstok Palgrave.

Salehi, Youssef (2019),Folk poetry in Wadi Souf (An anthropological study) by Ali Inad as a mode, Master's theses University of Martyr Hama Lakhdar.

selie, Siham (2020). The manifestations of cultural and social anthropology in the novel "The Wind of the South" by Abdel Hamid bin Haduqa. University of Guelma.

Thornham, Sue (1998) Secend Wave Feminism, The Routledge Companion to Feminism and Post Femenism. Ed. Sarah Gamble. London: Routledy.

Tilwin, Mustafa(2011). General introduction to anthropology. first edition. Algeria: Dar Al-Farabi.